البحث الوصفي: مقدمة، تعريف، خصائص ومميزات

مقدمة

يُعد البحث الوصفي أحد المناهج البحثية الأساسية والأكثر استخدامًا في مختلف التخصصات العلمية، لا سيما في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية. يهدف هذا المنهج إلى تقديم صورة شاملة ودقيقة لظاهرة معينة أو مجموعة من الظواهر كما هي قائمة في الواقع، دون أي تدخل أو تلاعب من جانب الباحث في المتغيرات. يركز البحث الوصفي على الإجابة عن أسئلة مثل (ماذا يحدث)، (كيف يحدث)، (متى يحدث)، و(أين يحدث)، مما يوفر أساسًا متينًا لفهم الظواهر وتحليلها بعمق، ويُمهد الطريق لإجراء دراسات أكثر تعمقًا في المستقبل.

تعريف البحث الوصفي:

يمكن تعريف البحث الوصفي بأنه أسلوب بحثي منهجي يهدف إلى رصد وتوصيف الخصائص والسمات المميزة لظاهرة معينة، أو مجموعة سكانية محددة، أو موقف معين، وذلك من خلال جمع بيانات دقيقة ومنظمة. يعتمد هذا المنهج على وصف الظاهرة كما هي في الواقع، دون محاولة إثبات علاقات سببية أو التنبؤ بالمستقبل. يركز البحث الوصفي على (ماهية) الظاهرة، ويقدم وصفًا كميًا أو كيفيًا لها، مما يساعد على فهم طبيعتها وتكوينها.

خصائص البحث الوصفي

يتميز البحث الوصفي بعدة خصائص أساسية تميزه عن غيره من المناهج البحثية، وتشمل:

١- **الواقعية:** يلتزم البحث الوصفي بدراسة الظواهر كما هي موجودة فعليًا في بيئتها الطبيعية، دون أي محاولة لتغييرها أو تكييفها مع ظروف مصطنعة. هذا يضمن أن تكون النتائج معبرة عن الواقع.

٢- **عدم التدخل:** يقتصر دور الباحث في المنهج الوصفي على الملاحظة وجمع البيانات، دون أن يتدخل في سير الظاهرة أو يتلاعب بالمتغيرات. الهدف هو تسجيل ما يحدث بدقة وموضوعية.

٣- **التنظيم والمنهجية:** على الرغم من طبيعته غير التجريبية، يتبع البحث الوصفي خطوات منظمة ومنهجية تبدأ بتحديد المشكلة، ثم تصميم الدراسة، وجمع البيانات، وتحليلها، وصولاً إلى استخلاص النتائج وتفسيرها.

٤- **الشمولية والدقة:** يسعى البحث الوصفي إلى تقديم وصف تفصيلي وشامل يغطي كافة الجوانب ذات الصلة بالظاهرة المدروسة، مع الحرص على دقة البيانات والمعلومات المجمعة.

٥- **استخدام أدوات متنوعة:** يعتمد الباحثون في المنهج الوصفي على مجموعة واسعة من أدوات جمع البيانات، مثل الاستبيانات، المقابلات، الملاحظة المباشرة، وتحليل المحتوى، وذلك لضمان جمع معلومات غنية ومتنوعة.

مميزات البحث الوصفي

يقدم البحث الوصفي العديد من المميزات التي تجعله أداة قيمة في البحث العلمي:

١- **سهولة التطبيق:** يتميز البحث الوصفي بوضوح خطواته وإجراءاته، مما يجعله سهل التطبيق نسبيًا مقارنة بالبحوث التجريبية التي تتطلب تحكمًا صارمًا في المتغيرات.

٢- **توفير قاعدة بيانات واسعة:** يساهم البحث الوصفي في جمع كميات كبيرة من البيانات والمعلومات التفصيلية حول الظواهر، والتي يمكن أن تشكل أساسًا لبحوث مستقبلية، بما في ذلك البحوث التجريبية أو الارتباطية.

٣- **المرونة:** يتمتع البحث الوصفي بمرونة عالية، حيث يمكن استخدامه لدراسة ظواهر يصعب أو يستحيل إخضاعها للتجربة المخبرية، مثل الظواهر الاجتماعية، الثقافية، أو التاريخية.

٤- **القدرة على رصد التغيرات:** يمكن للبحث الوصفي، خاصة من خلال الدراسات الطولية أو المستعرضة، أن يرصد التغيرات والتطورات التي تطرأ على الظواهر عبر فترات زمنية مختلفة .

٥- **انخفاض التكلفة:** غالبًا ما يكون البحث الوصفي أقل تكلفة من البحوث التجريبية، حيث لا يتطلب بالضرورة مختبرات متخصصة أو تجهيزات باهظة الثمن، مما يجعله خيارًا عمليًا للعديد من الباحثين.